

الدرس (١٤) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا نزال في باب الصبر من كتاب رياض الصالحين لأبي زكريا النووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

قال المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٣٠- وَعَنْ صُهَيْبٍ - رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبَرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السُّحْرَ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ، مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَاتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ؛ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِيءُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَاتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا هُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِلَّا مَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ تَعَالَى

دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ
يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي
وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ
بُيَّتِي، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِيءُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ! فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا،
إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ؛ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ:
ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوَضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ،
ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى، فَوَضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ،
فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ
أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ
عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ
بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ:
كَفَانِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرُقُورٍ وَتَوَسَّطُوا
بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ،
فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟
فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ. قَالَ: مَا
هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ
ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ
قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ
السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي
صُدْغِهِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحَدِّرُ قَدْ
وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَدْرُكَ. قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ بِأَفْوَاهِ السُّكَّكِ فَخُدَّتْ وَأُضْرِمَ فِيهَا
النِّيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأَقْحَمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ

امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمُّهُ اضْبِرِّي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ!». رواه مسلم.

قال المصنف رحمه الله:

«ذِرْوَةُ الْجَبَلِ»: أَعْلَاهُ، وَهِيَ - بِكَسْرِ الدَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَضَمِّهَا - وَ «الْقُرْقُورُ»: بَضْمٌ الْقَافَيْنِ نَوْعٌ مِنَ السُّفْنِ وَ «الصَّعِيدُ» هُنَا: الْأَرْضُ الْبَارِزَةُ وَ «الْأَخْدُوْدُ» الشُّقُوقُ فِي الْأَرْضِ كَالنَّهْرِ الصَّغِيرِ، وَ «أَضْرِمَ»: أَوْقَدَ، وَ «انْكَفَأَتْ» أَي: انْقَلَبَتْ، وَ «تَقَاعَسَتْ»: تَوَقَّفَتْ وَجِبَتْ.

هذا حديث عظيم أورده المصنف رحمه الله في بيان فضل الصبر وعاقبته الحميدة، وفيه أن ملكاً كان فيمن قبلنا عنده ساحر فلما كبر هذا الساحر طلب من الملك أن يحضر له غلاماً يُعَلِّمُهُ السَّحْرَ حَتَّى يَخْلِفَهُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْمَلِكِ بَعْدَ مَوْتِهِ. ومن المعلوم أن السَّاحِرَ كَافِرٌ بِاللَّهِ، وَأَنَّ الْاِسْتِعَانَةَ بِهِ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ، وَأَعْظَمِ الْعِدْوَانِ، وَمِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الشَّرِّ.

وقد قال الله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ}، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "من نصيب". وقال قتادة رحمه الله: وقد علم أهل الكتاب فيما عهد إليهم: أن الساحر لا خلاق له في الآخرة. وقال الحسن البصري رحمه الله: ليس له دين.

فدلت الآية على تحريم السحر، وكذلك هو محرم في جميع أديان الرسل - عليهم السلام -، كما قال الله تعالى: {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}.

قال: «فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ - أَي: طريق الغلام - إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ».

وهذا أيضاً من توفيق الله عَزَّجَلَّ لذلك الغلام، ومن الأسباب التي يسر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَا هداية خلقٍ إلى دين الله عَزَّجَلَّ، كما سيأتي معنا، والملك بعث هذا الغلام ليكون ساحراً، لكن جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي طَرِيقِ هَذَا الْغُلَامِ مِنْ يَكُونُ بِسَبَبِهِ - بتوفيق الله - مؤمناً يدعو إلى دين الله، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم.

«فَقَعَدَ إِلَيْهِ» أي: قعد الغلام إلى ذلك الرَّاهِبِ، والرَّاهِبِ: هو المتعبَّد والمتنسِّك، من عبَّاد النَّصاري.

«وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ» لأنه كلامٌ فيه الإيمان، والعبادة، والخوف من الله، والذِّكر لله، فأعجبه كلامه، فكان يتأخَّر عن السَّاحر عند ذلك الرَّاهِبِ.

«وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ، مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ - لِتَأْخِرِهِ - فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ».

فتكون بهذا، سواء تأخرت في طريقك إلى أهلك، أو تأخرت في طريقك إلى السَّاحر، لديك هذا العذر الَّذي تسلم به في الحالتين، وهذا فيه التَّخْلُصُ بمثل هذه التَّورِيَّةِ؛ فمعنى حبسه أهله أنَّه كان عند أهله قبل أن ينطلق إلى السَّاحر، وحبسه السَّاحر، أي: كان عند السَّاحر قبل أن ينطلق إلى أهله.

«فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ» أي: أغلقت الطَّرِيقَ، وخشي النَّاسُ منها.

«فَقَالَ - أي: الغلام -: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَفَتَلَتْهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تُدَلَّ عَلَيَّ؛ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ» بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إكرامًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له.

«فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَى بِهِدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَا هُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي» أي: كُلُّ هذا سأعطيك إِيَّاهُ، إن أنت شفيتني، أي: من هذا العمى الَّذي أنا مصابُّ به.

«فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِلَّا مَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ تَعَالَى دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَاَمَّنَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى».

وهذا فيه أيضًا فائدة عظيمة ومهمة ألا وهي: أن الطَّيِّبَ الَّذِي يمارس الطَّبَّ، لا يُعَلِّقُ النَّاسَ بِنَفْسِهِ وَطَبِّهِ، وهذا خطأ قد يقع فيه بعض الأطباء، فالشَّافِي هو الله، والطَّيِّبُ إِنَّمَا يَبْدُلُ السَّبَبَ، ولهذا كان النَّبِيُّ ﷺ يقول في رقيته للمريض: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا»^(١)، ولهذا: لا يصحُّ أن يقول المريض: شفاني فلان من الأطباء ونحو ذلك، وإنَّما يقول: شفاني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فينسب الفضل إلى المتفضَّل وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال خليل الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينُ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٨٠].

ولهذا: أنكر الغلام على الأعمى قوله: **«إِنَّ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِلَّا مَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى».**

وهذا أيضًا فيه فائدة أخرى مهمة: وهي أن مَنْ وُفِّقَ لِصِنْعَةٍ مِنَ الصَّنَعَاتِ، أَوْ طَبِّ، أَوْ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الْجَيِّدَةِ، يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَغْلَهُ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالِدَّعْوَةِ إِلَى دِينِهِ، وَهَدَايَةِ النَّاسِ، مِثْلَمَا صَنَعَ هَذَا الْغُلَامُ، قَالَ: **«فَإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ تَعَالَى دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَاَمَّنَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى».**

قال: **«فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بُنْيٍّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ».** عدَّ ذلك سحرًا؛ لأنَّه بعثه إلى السَّاحِرِ.

«وَتَفَعَّلُ وَتَفَعَّلُ! فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِلَّا مَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ؛ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ

(١) رواه البخاريُّ (٥٧٤٢).

فَوَضِعَ الْمُنْشَارُ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ - أي: وسط الرأس - فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ - أي: قسمه
 قسامين - ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ - أي: الذي كان أعمى - فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى،
 فَوَضِعَ الْمُنْشَارُ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن
 دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِّنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ
 الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ - أي: أعلاه - فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا
 بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا».

وهذه دعوة عظيمة تقال عند مجابهة أمر مخيف، أو ملك ظالم، أو عدو غاشم أو نحو
 ذلك، يقال: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِ بِمَا شِئْتَ.

«فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ - أي: لم يُصَبْ بشيءٍ - فَقَالَ لَهُ
 الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِّنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ:
 اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرُقُورٍ - أي: نوع من السفن - وَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ
 وَإِلَّا فَافْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرِقُوا، وَجَاءَ
 يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى. فَقَالَ
 لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكُ بِهِ، قَالَ: مَا هُوَ؟».

أراد الغلام أن يستغلَّ هذا الحدث العظيم لدعوة النَّاسِ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، ومعرفته،
 والإقبال على دينه سبحانه وتعالى ولو ترتب على ذلك إزهاق روحه.

«قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ» أي: في مكانٍ واحدٍ، بحيث الجميع يرونه.
 «وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِّنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ» أي: في
 وسط القوس، وهو المقبض، عند الرمي.

«ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي» أراد الغلام أن ينطق الملك بهذه الكلمة: باسم
 الله ربِّ الغلام، حتَّى يسمعها الجميع والملك يقولها، فتكون سبباً لإيمانهم وهدايتهم.

قال: «ثُمَّ ارْزَمْنِي؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ فِي صُدْغِهِ» والصَّدْغُ: هو ما بين العين وشحمة الأذن. «فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ» وهذا الَّذِي كان يهدف إليه الغلام.

« فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحَذِّرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ. قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ -أي الملك- بِالْأُخْدُودِ بِأَفْوَاهِ السِّكِّكَ».

أي: أن يُشَقَّ في أفواه السِّكِّكَ شقوق في الأرض، أحاديث تُشَقُّ في أفواه السِّكِّكَ والطُّرُقَاتِ.

«فَحُدَّتْ وَأُضْرِمَ فِيهَا النَّيْرَانُ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأَفْحِمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: افْتَحِمْ فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا».

وهذا أيضًا يُوضَّح لنا أن النَّاسَ آمَنُوا إيمانًا قويًّا، وأنَّ هذا الحدث هَزَمَهُمْ وَحَرَّكَ قلوبَهُمْ، فآمَنُوا بِاللَّهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ إيمانِهِمْ: أَنَّ النَّارَ خُدَّتْ فِي الْأَرْضِ، وَمَنْ لَا يَسْتَجِيبُ يَلْقَى فِي النَّارِ، فَلَمْ يَبَالُوا بِذَلِكَ مِنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قلوبِهِمْ.

«جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا» كأنَّها حنَّت وأشفقت على هذا الصَّبِيِّ الَّذِي فِي المهد تحمله.

«فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ»^(٢).

نطق هذا الغلام الَّذِي تحمله تلك المرأة، ودعا أُمَّهُ لِلصَّبْرِ، قال: اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ.

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٥).

وهذا موضع الشاهد من هذه القصة العجيبة، وسبحان الله العظيم! هذه وصية بالصبر من غلام في المهدي، نطق هذا الغلام وخاطب أمه بهذه الكلمات العظيمة التي فيها الحث على الصبر، قال: اصبري فإنك على الحق.

وهذا أمر عظيم يستفاد من هذه القصة: أن صاحب الحق الواجب عليه أن يصبر على الحق، وألا تهزه المواقف التي تبعده عن الحق وتصرفه عنه، بل يجب عليه أن يصبر وأن يتحلى بالصبر، وأن يجاهد نفسه على الصبر، ليحمد بعد ذلك العاقبة، والله تعالى يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

هذا ونسأل الله الكريم أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً؛ إنه تبارك وتعالى سميع قريب مجيب. وإلى لقاء آخر. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.